

ديوان

المغربيين

من شعر

صالح الدين القوصي

(الجزء الرابع)

الطبعة الأولى

غرة المحرم ١٤٢١هـ - أبريل ٢٠٠٠م

وقف لله تعالى لا يباع

(١)

﴿الرؤيا﴾

(146)

﴿الرؤيا﴾

بِسْمِ إِلهِنَا المولى
”وَسَبِّحْ رَبَّكَ الأَعلى“
وَتَقْدِيسِ لَهُ مِئى
وَحَمْدِى دَائِماً قَبْلاً
وَمِنْ رَبِّى سَلامُ اللّهِ
أَهْدِيهِ لِمَنْ صَلَّى
عَلَيْهِ اللّهُ .. والأَكوانُ
فَرَضاً .. لِمَ يَكُنْ نَفْلاً

حبيب الروح .. خير الخلق
” طه..المصطفى “ المجلى

عليه صلاتنا أبداً
فلا تَفنى .. ولا تبلى
بأسمى ما به ربى
عليه فى الورى صلى

رسول الله .. يا ” جدى “
أتيتك .. راجيا سُؤلاً
وكم واليتنى بالنور
كم أغرقتنى فضلاً

وما يوما رَدَدْتَ يَدِي
وما يوما أَجَبْتَ بِلا
فيا بَحْرًا بِهِ الْأَنْوَارُ
منه سَخَاؤُكُمْ جَزَلًا
به الْأَرْوَاحُ .. وَالْأَكْوَانُ
بَلْ كُلُّ الْوَرَى يُمَلَّا
عَرَفْتُ بِكُمْ مِنَ الْأَسْرَارِ
عَيْنًا .. ثُمَّ يَكُنْ نَقْلًا
وذوقا سِيدِي بِالرُّوحِ
لا بِلِسَانِنَا قَوْلًا
وَأَنْعَمَ سِيدِي بِالسِّرِّ
مِنْ أَنْوَارِكُمْ حِمْلًا

فَهَمَّتْ بِكُمْ لَكُمْ حُبًّا
فَقُلْتُ : انزل بنا سهلاً
فَجِئْتُ إِلَيْكُمْ مَوْلَايَ
أَلْقَى عِنْدَكُمْ رَحَالًا
وَإِذْ بِالْخَيْرِ عِنْدَكَ لَا
يُحَاطُ بِهِ .. وَلَا يَبْلَى
فَقُلْتُ : عَرَفْتُ .. قُلْتُ : الزَّمْ
وَكَنْ لِشَرِيعَتِي أَهْلًا
وَصُنْ سِرِّي .. وَصِلْ قَلْبِي
وَعِشْ بِالْجِدِّ .. لَا هَزْلًا
أُوَالِيكُمْ بَأَنْوَارِي
وَأُهْدِيكُمْ لَنَا وَصَلًا

فقلتُ : تباركُ الرحمن
أنتمُ سيدى المولى
فيا عزى بكم كِفْلاً
ويا سعدي بكم مولى
فضعنى خادماً مولاي
عندك أرتجى ظلاً
عليك الكونُ يامولاي
والرحمنُ قد صلى

وقد عابَ الذى أعمته
نفسٌ فانتهى جهلاً :-

رجائي فيك أن أمسي
لموطني رجلكم نعلًا
ولو ذاق الذي أغنى
وأدرك مقصدي .. وعلاً
لأدرك أن نعلكم
سما في القدس للأعلى
ولم يك "قاب قوسين" ..
ولم يحجبه فتدلي !!
وربي .. عظم الآثار
من "موسى" لنا قبلاً
بتابوت له الأملاك
قد ناعت به حملاً

فيا جُهَّالَ خَلْقِ اللّهِ
أىُّ الأنبياءِ أوَّلَى ؟؟؟
” عصا موسى “ أم الخُفَّينِ
مِنْ ” طه “ .. هما الأعلى !!!
عليكَ الكونُ يا مولاي
والرحمنُ قد صلَّى

رسولَ اللّهِ ... جاءتنى
بِشَّارَتِكُمْ لنا فِضْلاً
” فيوم السابع “ الميمون
مِنْ ميلادكم .. لَيْلاً

وكانت سیدی روحی
بکم هیمانة تَصَلَى
بنورك سیدی عَشَقًا
وتبکی بَعْدَکمْ تَکَلَى
وما ترجو سوى قُرْبِ
وتأملُ منکمُ وَصَلَا

وَإِذْ ”بِمَوَاكِبِ الْفُرْسَانِ“
فی نورِ مِنَ الْمَوْلَى
وَجُنْدُ اللَّهِ تَغْشَاهُمْ
وأشیاخٌ بِهِمْ أَحْلَى

عَلَى تَحُطُّ بِالْبُشْرَى
وتنزلُ عندنا أهلاً
وكان " الخضرُ " يقدّمهم
وَمَنْ " كَالْخِضْرِ " إِنْ هَلَاءَ!!
وقال " الخضرُ " : مُتَّ حَيَا
فقلتُ : حَكَمْتُ لِي عَدْلًا
إِذَا فاشهد... فقال : شهدتُ
أَنَّكَ عَبْدُهُ فِعْلًا
وقد لازمتكم دَهْرًا
كما لازمتهم قَبْلًا
فَأَنْتَ مُؤَيَّدٌ بِاللَّهِ
مُتَّخِذًا لِهْ أَهْلًا

فقد زكّاء خير الخلق
عند "المجلس الأعلى"
وكُلُّكَ مُذْنِبٌ .. لكنْ
رضا ربِّي لكم فُضْلاً
وإن صعيدنا أضحى
أديماً مقفراً ... وخلا؟؟
وَحَلَّ الْآنَ دَوْرُكَ يَا
بُنَيَّ .. وسبحان الذي ولى
فلا ترفعْ لكم رأساً
عن الأرض .. له ذُلٌّ
فَسَبِّحْ ساجداً مولاك
مَنْ أهدى لكم وصلاً

وَصَلِّ عَلَى الَّذِي أَهْدَاكَ
مِنْ بَرَكَاتِهِ نِعَالاً
وَعَلَّمَكُمْ .. وَغَذَّاكُمْ
فَصِرْتُمْ بِنُورِهِ فَخَالاً

فَقُلْتُ: سَلَامٌ رَحْمَنِ
وَأَكْمَلُ مَا بِهِ صَلَّى
عَلَى الْهَادِي .. بِشِيرِ الْخَيْرِ
خَيْرِ الْكُفْلِ وَالْمَوْلَى
وَرُحْتُ مُقَدَّساً رَبِّي
أَسْبَحُ وَجْهَهُ الْأَعْلَى

فقلتُ : تباركُ الرحمنُ
عَزَّ ثَنَاؤُهُ .. وَعَلَا
فَإِنَّ اللَّهَ مَوْلَانَا
و”أَحْمَدُ“ ظَاهِرُ الْمَجَلَى
سَرَى فِينَا فَأَحْيَانَا
وَمَنْ يَبْعَادُهُ أَوْلَى !!!
وما للغافلِ المغرورِ
حَظٌّ إِنْ حَيَّا هَزْلًا
أَعُوذُ بِوَجْهِ مَوْلَانَا
وَعِزَّةِ رَبِّيَ الْأَعْلَى
مِنَ الْأَغْيَارِ .. وَالْأَنْوَارِ
كُلُّ سِوَى لَهُ يَبْلَى

له الحُسْنَى مِنَ الْأَسْمَاءِ
وَكُلُّ صِفَاتِهِ الْمُثَلَّى
وَلَكِنِّي قَصِدْتُ الذَّاتَ
لَا قَوْلًا .. وَلَا فِعْلًا
فَهَلْ حَقًّا قُبِلْتُ لَدَيْهِ
يَا سَادَاتِنَا أَمْ لَا ؟؟؟

فَقَالُوا : عَاشِقٌ مُوَلَّاءٌ ؟؟
قُلْتُ : وَأَرْتَجِي وَصْلًا
فَقَالُوا : وَصْلُكُمْ بِالْقَتْلِ !!
هَلْ تَرْضَى بِهِ حَالًا !!

فقلتُ : بِحَقِّ مَوْلَاكُمْ
خُذُونِي أَوَّلَ الْقَتْلِ
فَكَمْ يَوْمًا قُتِلْتُ بِهِ
بِأَنْفَاسِي .. وَلَمْ أَسْأَلِ
شَهِيدَ الْعَشَقِ ؟؟ قَالُوا : أَنْتِ ؟؟
قلتُ : شَهَادَتِي أَعْلَى !!
عَشَقْتُ الذَّاتَ .. لَا الْأَسْمَاءَ
وَلَا صِفَةً وَلَا فِعْلاً
فَقَالُوا : قَدْ جُنِنْتَ إِذَا !!
فقلتُ : أبيعكم عَقْلًا
وَرُوحًا .. ثُمَّ نَفْسًا ثُمَّ
جِسْمًا إِنْ أُنِّلَ وَصَلَا

تَبَسَّمَ شَيْخُهُمْ وَدَا
وَقَالَ دَعُوهُ لِي تَمَلَا
فَكَمْ جَذْبُوهُ .. حَتَّى فَاضَ
مِنْهُ الْعَشَقُ وَاسْتَوْلَى
فَقَدْ سَكِرَ الْفَتَى حُبًّا
وَأَصْبَحَ قَلْبُهُ عَبْلًا
وَقَدْ فَاضَ الْغَرَامُ بِهِ
فَعَافَ الْغَيْرَ وَتَخَلَّى
وَإِنَّ جَمَالَ مَوْلَاهُ
أَضَاعَ الْقَلْبَ وَالْعَقْلَ

وَقُلْتَ عَلَيْكَ صَلَّى اللَّهُ
سِرًّا لِي .. كَمَنْ أَمَلَى :-
أراه يموت عندك
فاصمُدْ .. واحتَمِلْ ثَقُلًا
وَبَعْدَ الْعُسْلِ وَالْأَكْفَانِ
نَدْفِنُ فِي ذُرَا الْأَعْلَى ..
فقد طالَ المسيرُ به
وفينا جاهداً أبلى
وليس بميتٍ حقاً
فما من ذاكِرٍ يبلى
وأشهدُ أنه شَيْخُ
الولاية عندنا أهلاً

عليه سحائبُ الرضوان
مِنْ كُلِّ الَّذِي صَلَّى
فقلتُ : عليكَ مِنْ رَبِّي
كرائمُ ما بهِ صَلَّى
وأشهدُ أنكم أصلُ
لكلِّ سُمُوهِمْ وَعُلا
وأشهدُ أَنَّهُ رَبِّي
وزادَ بنوركُم فَضلاً

وقالوا: اصعدْ.. فقلتُ: وكيف؟؟
قالوا: سَبِّحِ المَوْلَى

به ترقى ونور رسوله المخ
تار للأسمى وللأعلى
وقد عاينت سلسلة
تمد إلى السما حبالا
ببسم الله .. قلت .. على
رسول الله قد صلى
وليس أجل عند الله
من قرآنه يتلى
فبسم الله .. لست أرى
سوى الوهاب لي حولا

تَنَاطَرِ جِسْمِي الْمَعْرُوفُ
حَتَّى لَمْ يَعُدْ شَكْلًا
وَذَابَ الْجِسْمُ مِثْلَ الْمِلْحِ
فِي مَاءٍ بِهِ يَغْلَى
وَجَاءَتْ خِفَّةٌ فِي الرُّوحِ
طَرْتُ بِهَا إِلَى الْأَعْلَى
وَكَانَتْ نَشْوَةً كَالسُّكْرِ
مِنْ خَمْرٍ سَبَتْ عَقْلًا
وَمَا وَاللَّهِ فِي الدُّنْيَا
لَهَا شَبَهُهُ وَلَا أَحْلَى
سَلَامٌ قَدْ أَحَاطَ بِنَا
فَطَارَ الْقَلْبُ وَتَجَلَّى

وَعَنْ كُلِّ الْجَنَانِ عَزَفْتُ
إِلَّا وَجْهَهُ الْأَعْلَى
يَحِيطُ النُّورُ بِي كَالْمُزْنِ
بَلْ أُطْعِمْتُهُ أَكْلًا
فَيَسْرِي فِي الْعُرُوقِ دَمًا
بِهِ خَدْرٌ سَمًا وَعَالًا
وَإِذْ بِالسَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ
قَدْ أَحْيَوْهُمْ صَقْلًا
فَكَلَّى نَازِرٌ وَالرُّوحُ
تَسْمُو عَالِيًا بُبْلًا
جَمَالٌ ضَاعَتْ الْأَبْصَارُ فِيهِ
فَأَعْجَزَ قَلْبُنَا عَقْلًا

وصار الموتُ في نَفْسِي
مَتِيَمَةً بِهِ عَجَلِي
نَدِمْتُ بِأَنْبِي ضَيَّعْتُ
عُمْرِي سِيدِي قَبْلَا

سَبَّحْتُ .. وَكَأَنَّ الدُّنْيَا
بِأَسْفَلِنَا كَأَرْضٍ فَالَا
وَكَانَ النَّاسُ فَوْقَ الأَرْضِ
قَدْ ضَاعُوا بِهَا جَهْلًا
بِدُنْيَاهُمْ .. وَأَنْفُسَهُمْ
وَقَدْ أَرَدْتَهُمْ ذُلًّا

وَجُلُّ نِسَائِهَا كَدُمِي
كَمَنْ فَقَدَتْ لَهَا بَعْلًا
وَمَنْ فِيهِنَّ قَدْ شَطَّتْ
تَحَوَّلَ زَوْجُهَا بَعْلًا
وَشَيْطَانٌ يَرِاقِصُهُمْ
وَأَنْفُسُهُمْ بِهِ حُبْلَى
وَأَهْوَاءٌ تَلَاعِبُهُمْ
فَتَسْلُبُ مِنْهُمْ عَقْلًا
فَقُلْتُ: وَحَقُّ مَوْلَانَا
هِيَ الدُّنْيَا.. هِيَ السُّفْلَى
نَجْوَتْ وَحَقُّ مَوْلَانَا
مِنَ الدَّارَيْنِ لِلْأَعْلَى

يَحْفَظُ اللّٰهَ وَالرَّحْمٰنُ
لِي دَوْمًا هُوَ الْمَوْلَى

وَقَالَ مُحَدَّثِي وَالْقَوْلُ مِنْهُ
نَسِيمٌ عَاطِرٌ فَلَا

وَمَوْسِيقَى بِأَنْغَامٍ
يُعَدِّينِي بِهَا عَقْلًا

وَجَالَ بِخَاطِرِي .. أَرْضَيْتَ؟؟
قَلْتُ : تَبَارَكَ الْمَوْلَى

فَمَا الْجَنَّاتُ نَرْجُوهَا
وَمَا كَانَتْ لَنَا شُغْلًا

ويا سَعْدَ الذى يُحظى
بنور جمالك الأعلى
وكيف الوصفُ للأذواقِ
والأذواقُ كَأْسُ طِلا !!
وليس لكأسكم وصفٌ
ولم أنظر له مثلاً
وهل للحبِّ من وصفٍ
فكلاً سيدى .. كلاً
وقد فاز الذى منكم
وفىكم فانيا أصلاً
فلما ذقتُ فيك الحبَّ
قلتُ : الموتُ لى أولى

وليت شهادتي فيكم
أنت ألفاً لكم قبلاً
فكلُّ شهادةٍ مِنْهُنَّ
عَنْ مَا قَبْلَهَا أَحْلَى
وَمَهْمَا قُلْتُ يَا مَوْلَايَ
أنت الأعظمُ الأعلى

وقلتُ : عبادُكم أودتُ
بهم دُنْيَاهُمْ جَهْلًا
فَدَعْنِي كَيْ أَعْرِفَهُمْ
بكَاسِ شَرَابِكَ الْأَعْلَى

فَلَوْ عَرَفُوكَ .. لَأَخْتَارُوكَ
دُون حَيَاتِهِمْ قَتْلًا
فَدَعْنِي سِيدِي .. وَاجْعَلْ
يَحُبُّ اللّٰهَ لِي حَبْلًا
وَحُبُّ رَسُولِكَ الْهَادِي
الذِي أَهْدَى لَنَا وَصْلًا
وَكَانَ هِدَايَتِي رَجُلًا
وَكَانَ كَفَالَتِي طِفْلًا
عَلَيْهِ صَلَاةٌ مَوْلَانَا
بِأَكْمَلِ مَا بَهَا صَلَّيْ

فقال : أذُنْتُ لَوْ تَقْدِرُ
فَزِنْ قَوْلًا .. وَزِنْ فِعْلًا
لعلك تفتح الأبواب
إن تفتح لهم قفلاً
وَصَلِّ عَلَى بحار النور
ك.ب.ن خَيْرَ الَّذِي صَلَّى
فما ارضى لِمَنْ يرضى
سِوَى " بمحمد " أصلاً
عليه صلاتنا أبداً
وَكُلُّ الكونِ قَدْ صَلَّى

رسولَ اللَّهِ .. عَلَّمَنِي
وَكُن لِي سَيِّدِي كِفْلًا
فَكُلُّ الْخَيْرِ لِي مِنْكُمْ
وَأَمَّا مَنْ سِوَاكَ .. فَلَا
كَمَا عَلَّمْتَنِي دَهْرًا
وَكَمْ أَكْرَمْتَنِي قَبْلًا
وَكَمْ أَرْسَلْتَ لِي بِالْأَمْرِ
مِنْكُمْ سَيِّدِي ... رُسُلًا
وَمَا أَرْضَى بِعَيْشٍ لِي
وَحَقِّكَ سَيِّدِي .. إِلَّا
بِصُحْبَتِكُمْ يَقِينِ الْعَيْنِ
خَادِمِ نُورِكُمْ نَعْلًا

فخذنى سيدى جُوداً
وَضَعْنِي سِيدِي ظِلًّا
عليك سلام مولانا
وأكمل ما به صَلَّى
وحمداً سيدى أنى
”أَسْبِحُ رَبِّيَ الْأَعْلَى“



آخر ربيع الأول ١٤٢٠ هـ - يوليو ١٩٩٩ م

